السياسية (بعد سيطرته الاقتصادية) على الحياة العربية ومقدراتها ، كما شكلت الزيارة دلالة على طبيعة المستقبل الذي تعمل القوى الممثلة لهذا التيار على صنعه للوطن العربي عموما ــ ص ٢٣٢ » ٠

هذه هي بوجه عام التصورات الرئيسية التي يتضمنها كتاب العظم عن السياسة الامريكية وعن الواقع السياسي العربي ٠ ولنتساءل الان ، هل يتناسب حجم هذه الاستخلاصات والاراء مع حجم النقد الموجه للواقع العربي ولواقع حركة التحرر العربية ؟ ٠

سنعمد للاجابة على هذا السؤال ، الى تسجيل ملاحظاتنا ، من دون الدخول في الجزم والقطعية التي اتبعها الكاتب في عرض تحليلاته وارائه ٠ وعلى العموم فان منهج صادق العظم وموقفه ، يحتاج الى تقييم ــ ولو اولي ــ وذلك واجب من الواجبات التي تفترضها المرحلة ، كما صورها العظم في كتابه ٠ ويستلزم ذلك ــ على ما نرى ــ اجمال ملاحظاتنا في النقاط التالية :

١ ــ ان « صادق جلال العظم » ابتداء من كتابه الشهير (النقد الذاتي بعد الهزيمة) وفي مجمل كتاباته اللاحقة ظل يتبع منهجا نقديا ، يتميز بالجذرية الشاملة ٠ والتي تصل الى حد التجريد ، المميز لموقف « المثقفين » من هواة النقد ، وطلاب الكمال المطلق في كل عمل ، هذا مع اختلاف كون كتابات « العظم » تتجلى بالذكاء والجدية التي يكشف عنها ما تتضمنه هذه الكتابات من ادلة على الجهد

غير ان هذا كله لم يمنع هذه الكتابات من ان تنتهي الى القول : بأن ثمة تخلف وعجز « بنيوي » وتاريخي ، عجز في الوعي وفي تركيبه ، يتجلى في الملمات والمواقف الحاسمة والصعبة منعكسا على السلوك والموقف السياسي في الوطن العربي ٠ واذا كان هذا الحكم قد تركز على الانظمة العربية في « النقد الذاتي بعد الهزيمة » بصورة اساسية ــ وان لم تسلم البنية بمجملها من النقد ــ وتركز على تيار معين ومحدد في « سياسة كارتر ومنظرو الحقبة السعودية » فانه يعود ليتخذ صفة الاطلاق في هذا الكتاب ٠ ان اقوالا مثل « جسم الامة المنخور اصلا » وان العقل السياسي العربي « يجسد صعوبة « بنيوية » في استيعاب سياسة ديناميكية مائعة وملتبسة كهذه » برغم انها ترد عرضا ، وما بين السطور ، فانها تمثل في الواقع ، الخلفية التي تحكم موقف الكاتب ،وتحدد زاوية نظره ٠

٢ ــ وليس هنالك من ينكر بحال ، اهمية وضرورة مثل هذا الاتجاه ، في معالجة قضايانا الملحة والراهنة ٠ على العكس من ذلك ، فان مثل هذا المنهج في النظر والتحليل ، مفيد من حيث اثره في تعميق الوعي بالاحداث ، وبالاتجاهات السائدة والمتصارعة في الواقع العربي ، انه يظل عندما يطرح بالطريقة التي يطرحه بها « العظم » محصورا في اطار الحس ٠ وعلى الاغلب فانه يؤدي الى تعميق نزعة الاستنكاف والعزوف عن المبادرة ، وذلك بسبب من افتقار هذا المنهج الى الاهتمام بالاسباب العميقة ، افتقاره الى اية محاولة للبحث في مصادر العجز البنيوي ،

والمرض اللاصق بجسم وعقل الامة ، من اين اتى ، وهل ثمة علاج له ام لا ؟ ٠ ان العظم يختار دائما النتائج ليسلط عليها هجومه ، في حين يترك الاسباب وراءه محولا اياها الى « شتيمة » قدرية تنتهي في اغلب الاحيان لتترجم بصيغة : هذه هي النتائج سوداء كما ترون وذلك ليس بالامر المستغرب « فالجسم منخور اصلا » والعقل معطل وعاجز « بنيويا » ٠

وبفعل وقوع « العظم » تحت اسر هذا المنهج فانه لا يسلم في اغلب الاحيان من الخطأ ومن استسهال اعطاء الاحكام القاطعة ، والمطلقة ، واخيرا فهو يبتعد عن الديالكتيك ، وينحو غالبا الى التجريد والميكانيكية ٠ ان النظرة الديالاكتيكية